﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾

[الفرقان: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

عـلَّـةُ قـبـائـحِ المـشـركـين التَّكذيبُ بيوم الدين

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقةُ ما وعد اللّه به نبيَّه ﷺ؛ ناسبَ أنْ يعودَ لبيانِ سببِ قُبح مطالبهم وهو قبحُ اعتقادِهم، فالآيةُ امتدادٌ لحديث السّورة الكريمة عن قبائح المشركين ورذائلهم، فبعد ذِكْر قبائحِهم السّابقة؛ انتقلَ البيانُ القرآني لذكر رذيلة أخرى من رذائلهم التي لا تتوقَّفُ، وهي: إنكارهم للبعث والحساب، كما أنَّهم أنكروا أنْ يكون للرَّسول ﷺ جنّاتٌ وقصورٌ في الدنيا، فأخبرهم بأنَّه يملكُها في الدار الآخرة، لكنَّهم كذبوا بالساعة، ومِن ثَمَّ لا يُصدِّقون ملكيَّتَه لها، وبهذا يتحقَّقُ الارتباطُ بينَ هذه الآية والآية السّابقة لها، كما تدلُّ عليه ﴿بَلْ﴾ الإضرابيَّة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: (عتد) أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على حُضورٍ وقُرْبٍ[1].

"العَتادُ: ادِّخارُ الشَّيءِ قبلَ الحاجةِ إليه كالإعدادِ، والعَتيدُ: المُعِدُّ والمُعَدُّ، قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [ق: 23]، ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: 18]، أي: مُعْتَدٌّ أعمال العباد، وقوله: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: 18]، قيل: هو أفعَلْنا مِنَ العَتادِ، وقيل: أصلُه أعدَدْنا، فأُبدِل من إحدى الدّالين تاء"[2]، والمرادُ: هيَّأنا وجهَّزنا.

1) ﴿سَعِيرًا﴾: (سعر) "أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على اشْتِعالِ الشَّيْءِ واتِّقادِهِ وارْتِفاعِهِ، مِنْ ذَلِكَ: سَعيرُ النّارِ، واسْتَعارُها: تَوَقُّدُها،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عتد).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (عتد).

والمِسْعَرُ: الخَشَبُ الَّذي يُسْعَرُ بِهِ، والسُّعارُ: حَرُّ النّارِ"[1]، والمراد: نارٌ عظيمةٌ شديدةُ الاشتعال.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

التكذيبُ بالسّاعة أدهى وأمرُّ

تُبيِّن الآيةُ حالَ المشركين، وموقفَهم من السّاعة والبعث، فلم يتوقَّفِ المشركون في فعلِ القبائح والرَّذائل على شركِهم بالله تعالى، ولا على تشويههم لكتابِه، ولا على ازدرائهم لرسولِه ﷺ؛ إذ أضافوا إلى ذلك رذيلةً جديدةً، وهي تكذيبُهم بالسّاعة وإنكارُهم لما فيها، والحاصل أنَّنا بعظمتنا وقدرتنا قد جهَّزنا لِمَن كذَّب بهذا اليوم نارًا عظيمةً شديدةَ الاشتعال.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى ﴿بَلْ﴾ ودلالتها:

التَّعجيبُ من إنكار الكافرين السّاعةَ وما فيها

حرف ﴿بَلْ﴾ يفيدُ الإضراب، إذا وليَهُ مفردٌ؛ كان للعطف، وإذا وليَهُ جملةٌ؛ كان حرفَ استئناف، على الأرجح"[2]، وجيءَ به هنا للإضراب الانتقاليِّ، وللتعجيب والتنبيه إلى رذيلةٍ أُخرى من رذائل المشركين التي لا تنتهي، ولا تتوقَّف، رذيلةٍ تُعَدُّ سببًا رئيسًا في اجترائِهم على الشِّرك بالله تعالى، وتشويهِ كتابه، والتهكُّم برسوله، وهي تكذيبُهم بالسّاعة وإنكارهم ما فيها من بعثٍ وحشرٍ وحسابٍ وعقاب، والمعنى: بل أتَوا بأعجبَ من ذلك كلِّه، وهو إنكارُهم للبعث وما بعده.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل الماضي:

الكافرون بلَغوا في إنكار البعث ما يُشابهُ اليقين

في بيان موقفِ الكافرين من السّاعة وما يأتي بعدَها؛ عبَّر النظم الحكيم بالفعل: ﴿كَذَّبُواْ﴾ ماضيًا؛ لأنَّه يدلُّ بزمانه على

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سعر).
(2) المرادي، الجنى الداني: 235، وما بعدها.

حصول التَّكذيبِ وتأكُّد وقوعِه منهم، ويدلُّ ببنائه المشتملِ على حرفٍ مُضَعَّفٍ في وسطِه على رسوخهم في الإنكار، وبلوغِهم فيه حدَّ اليقين، الرّافض لكلِّ ما يخالفُه، فهذهِ الصّيغةُ الصَّرفيَّةُ تفيدُ المبالغةَ والتَّكثيرَ في الفعل، فتناسِبُ ما تقدَّم لهم من أقوالٍ وأفعالٍ تكذيبيَّة بالكتاب المنزَلِ والنَّبيِّ المُرسَل.

نكتةُ إيثارِ لفظ السّاعة:

إنـكـارُ البعث داعٍ إلى إنكار ما بعده

قُيِّد فعلُ التكذيب بقوله تعالى: ﴿بِٱلسَّاعَةِ﴾، والسّاعةُ جزءٌ من أجزاء الزَّمان، عُبّر به هنا عن القيامة؛ تشبيهًا بذلك لسُرعة الحسابِ[1]، فتكون استعارة تصريحية، أوْ سُمّيتْ باسم جزءٍ من أجزائِها، وهو: ساعةُ البعث[2]، فتكون مجازًا مُرسلًا من تسميةِ الكلِّ باسم الجزء، وعُدّي فعلُ التكذيب إليها دونَ غيرها ممّا في الآخِرة؛ لأنَّ من كذَّبَ بساعةِ البعث؛ كان بما وراءَها - من أهوال القيامةِ وشدائد الحشرِ والحساب والجزاء - أشدُّ تكذيبًا وأَحرى، و(أل) في لفظ ﴿بِٱلسَّاعَةِ﴾ للعهد العِلْميِّ؛ لأنَّها صارتْ عَلَمًا بالغلبة على (القيامة) وما يجري في عالَمِها، كما نقول: زرتُ المدينةَ، أي: مدينةَ رسول الله ﷺ؛ ولذا جاءتْ مُعرَّفةً ومُنكَّرةً في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: 55]، فأفادَ التعريف أنَّها القيامة، وأفاد التَّنكيرُ السّاعةَ التي هي جزءٌ من الوقت والزَّمان، وبناءً عليه يكونُ إطلاقُ السّاعة على (القيامة) إطلاقًا حقيقيًّا غيرَ مُلتفتٍ إلى أصلِه المجازيِّ؛ لشُهرتِه وعدمِ احتياجِه إلى القرينة، لكنْ يُعلَّلُ حينئذٍ سرُّ الاشتهار بالمبالغةِ وكمالِ المدح وغيرهما.

نوعُ الواوِ ودلالتها:

استئنافٌ لبيان وعيدِ المشركين

(الواو) في جملة: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ استئنافيَّةٌ، جيءَ بها لبيانِ ما

(1) الراغب، مفردات القرآن: (ساعة).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 21.

أعدَّه الله تعالى لمُنكري البعثِ من عقاب في الآخرة، معترضةٌ بالوعيد لهم، وهو لعمومِه يشملُ المشركين المتحدَّثَ عنهم، فهو تذييلٌ، ومِن غرضه مقابلةُ ما أعدَّ الله للمؤمنينَ في العاقبة بما أعدَّه للمشركين[1]، وأفادَ تعقيبُ الوعيدِ للمُكذِّبين تعليلَ سببِ الإعداد؛ إذ الاستئنافُ يدلُّ على التسبُّب والتعليل.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ ماضيًا:

جُهوزيَّةُ السَّعيرِ لاستقبال مُنكري السّاعة وتعذيبهم

عبَّر النَّظمُ الكريمُ عن العقابِ المُنتظَرِ حصولُهُ مستقبلًا بالفعل الماضي: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ الإعداد وحصولِه حصولًا أكيدًا، يُفهَم منه جهوزيَّةُ النّارِ لاستقبالِهم وتعذيبِهم على تكذيبهم بالسّاعة وما يليها، فإنْ كان الله تعالى قد أعدَّ لرسوله ﷺ ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا﴾، فإنَّ الله قد أعدَّ في مقابلة ذلك لَمن كذَّب بلقاء الله تعالى عذابًا سعيرًا، فلم يكتفِ النظمُ الكريم بإجابتِهم عمّا وعد الله تعالى نبيَّه الكريم عندما طالبوه بالمُعجزات، بل أخبرَهم أنَّه قد أعدَّ له ذلك وأكثرَ، وأعدَّ للمكذِّبين منكم جهنَّمَ.

دلالةُ إسنادِ الفعل إلى الضَّمير:

تهويلُ ما أعدَّهُ الله من عذابٍ وسعير

وفي إسناد الفعل: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ إلى ضمير الحقِّ سبحانه بصيغة التعظيم دلالةٌ على أنَّ الله تعالى جدُّه هو الذي تولَّى إعدادَ السَّعير وتجهيزَه لعقابِ مَنْ كذَّبوا بالسّاعة ولقاء الله، وفعلوا مع التَّكذيب الجرائمَ والأباطيلَ التي تحدَّثت عنها السورةُ الكريمة، بغرض تأكيدِ حصول الفعل، وتفخيمِ ما أُعدَّ لهم وتهويلِه، بغرض زيادة التهديد والوعيد.

فائدةُ تقديمِ المجرور باللّام:

السَّعيرُ عذابُ المكذِّبين بالسّاعة

جيء بالاسم الموصول: ﴿لِمَن﴾ مجرورًا بـ(اللّام) الَّتي تفيدُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 332.

الاختصاص، ومُقدَّمًا مع صلته على المفعول به: ﴿سَعِيرًا﴾؛ للدَّلالة على تخصيصِ السَّعير بهؤلاء المكذِّبين، جزاءَ تكذيبِهم بالسّاعة، والمعنى: أعدَدْنا لِمَنْ كذَّب بالسّاعة نارًا مخصوصةً، لا يُشاركُهم فيها غيرُهم لشدَّة مُبالغتهم في التَّكذيب، ودخولهم في مراحلَ عميقةٍ فيه، وبذلك يتناسبُ اختصاصُ الجنّات والقصور بالنبيِّ ﷺ في قوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾، مع اختصاصِ السَّعير بهؤلاء المكذِّبين المُبالغينَ في التَّكذيب.

نكتةُ إظهارِ الاسم الموصول:

بيانُ سببِ ولوجِ النّار كفيلٌ بالارتداعِ عند أصحابِ العقول

عبَّرَ بالاسم الموصول (مَنْ) على خلافِ الظّاهر الذي يقتضي التَّعبيرَ بالضمير، فيقال: (وأعتدنا لهم)؛ ليتوصَّلَ بصلته: ﴿كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ﴾ إلى التَّشنيعِ لفعلِهم، وتأكيدِ سببِ إعداد السَّعير وتجهيزه لهم، وليشمَلَهم ويشملَ كلَّ مَن كذَّب بالساعة، كائنًا من كان؛ لأنَّ (مَن) تفيدُ العمومَ بخلاف الضَّمير، ويشيرُ مِن خلال تكرار الفعل ﴿كَذَّبَ﴾ الواقعِ في جملة الصِّلة على أنَّ سببَ هذا النَّوع من العذابِ الشَّديد أنَّهم بالغوا في التكذيب، وأغرقوا فيه حتّى خرجوا عن المألوف، فاستحقّوا ذلك الإعداد.

بلاغةُ إظهارِ ما حقُّه الإضمار:

إظهارُ الألفاظِ المكذَّب بها دليلُ شناعة المكذِّبِ وبشاعة معتقده

في جملة الصِّلة جاء وضعُ لفظِ ﴿بِٱلسَّاعَةِ﴾ موضعَ ضميرها؛ تأكيدًا لعقاب مَن يكذِّب بها، وتشنيعًا بفعله، وتقبيحًا لصنيعِه، واكتفاءً بالتصريح بها عن ذكر ما سبقَ من جرائمِ المشركين، الموجبةِ للعقاب، والمتمثِّلة في الشِّرك بالله، وتشويهِ كتابه، والتهكُّم برسوله، ما يدلُّ على أنَّ التكذيبَ بها جامعٌ لكلِّ قبيح، وكافٍ عن ذكر كلِّ شنيع، فكأنَّ "مَن كذب بها؛ صار جامعًا للقبائح التي أوردَتْها السّورة من قبلُ بالتفصيل؛ لأنَّه أتى بأقبحِ صفاتهم، وأكثرِها دورانًا

على ألسنتهم"[1]، وأفاد التَّعريفُ للسّاعة هنا العهدَ الذِّكريَّ، مثلُ قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: 15 - 16]، أي: المتقدِّم ذكرُه، وتكونُ (السّاعةُ) حينئذٍ دالَّةً على ما يحدث في القيامة من بعثٍ ونشرٍ وحسابٍ وجزاءٍ.

نكتةُ تنكيرِ ﴿سَعِيرًا﴾:

السَّعيرُ نارٌ عظيمةُ الاشتعالِ شديدةُ الاستعار

نُكِّرَ لفظُ ﴿سَعِيرًا﴾ للتَّعظيم والتهويل، والإلماحِ إلى أنَّ العبارة لا يسَعُها أنْ تُعبِّرَ عن حقيقتها، ولا أنْ تفيَ بوصفها، كما أنَّ بناءَ الكلمة المشتملَ على حرفَي مدٍّ يتوسَّطُهما حرفُ (الرّاء) يرسمُ صورةً للمعذَّبين بها بين الانخفاض والارتفاع والتقليب، بجانبِ ما يوحي به حرفُ (الألف) في آخرها من أنَّه لا حدودَ لاستعارها، ولا سقفَ لاشتعالها، والمعنى التقريبي: أَعتدنا لِمَنْ كذَّب بالسّاعة نارًا عظيمةً، يشتدُّ اشتعالها، ويزداد استعارها، ومن المعلوم أنَّ الصيغة الصَّرفيَّةَ (فعيل) تفيدُ المبالغةَ والكثرة، ولذا أوثر التَّعبيرُ به عن (مسعور) الذي هو الأصلُ له؛ إذ النّارُ مسعورةٌ، وليستْ سَعيرًا، لكنْ عُدِل عن اسم المفعول للمبالغة بشدَّةِ استعارها وعظيمِ لهيبِها.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 430.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»